مواقف بعض الباحثين العرب من الدراسات الإستشراقية
-دراسة تقييمية-

دة. فـــوزية كـــــرراز*

الملخص:

يهدف موضوع المقال إلى عرض رد فعل بعض الباحثين العرب ومواقفهم من الدراسات العلمية الإستشراقية، التي إهتمت أكثر بالجانب الديني والحركة العلمية في الحضارة الإسلامية، وخلصنا إلى أنهم إنقسموا إلى موقفين متباينين، موقف أشاد أصحابه بدور المستشرقين في إخراج الحضارة الإسلامية إلى النور، وموقف معارض تماما شكك فيما قدموه جملة وتفصيلا. وهذا ما سأسعى إلى توضيحه ضمن هذه الدراسة التاريخية.

Abstract:

This article aims to study the reactions of the Arab searchers and their positions from the Orientalists academic studies, especially in the religious fields and scientific products in Islamic golden age. I have concluded that there were two different groups; the first one praises the role of orientalists in reviving Islamic civilization, however the second group expressed a greatest skepticism about the efforts of orientalists, While, it could be logic to study every case alone, every orientalist had been influenced by an objective and subjective conditions.

* - أستاذة باحثة في التاريخ الوسيط الإسلامي، بقسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية -جامعة معسكر، وعضو بمخبر مصادر وتراجم ، جامعة أحمد بن بلة وهران 1، الجزائر.

مقدمة:

يعتبر الإستشراق كما أشار الإمام محمد الغزالي: " كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والإفتراء عليه"[1]. وإن لم يكن للإستشراق تعريفا في مصادر اللغة العربية-المعاجم- كقاموس المحيط للفيروزبادي ولسان العرب لإبن منظور، فقد إتفقت الدراسات العربية الحديثة على إيجاد تعريفا له؛ حيث هو مصطلح حديث مشتق من الجهة الجغرافية الشرق، وإضافة السين تفيد معنى طلب دراسة ما في الشرق[2]، أما اصطلاحا فهو علم يدرس لغات شعوب الشرق وتراثهم وحضارتهم ومجتمعهم ماضيه وحاضره[3].

كما يعتبر الإستشراق تيارا فكريا في"مدلول حركته قضية ذات أبعاد فلسفية يبلورها الحق في معاينة الآخر والتطلع إلى معرفته وكذا الحق في تشكيل هذه المعرفة وفق رؤية مغايرة يكون التحفز فيها مرتبطا بتحرر قليل أو كثير يتيحه المتطلع لنفسه حتى لايبقى في قبضة الضوابط التي قد تحكمت في ذهن هذا الآخر"[4].

أما الأهداف فقد إتفقت في تحديدها هي الأخرى الرؤى الشرقية، وقد تباينت مابين أهداف ذاتية وأخرى موضوعية، وإن كانت الأولى هي الطاغية. فمن دوافعه أو أهدافه الأطماع الإستعمارية من قبل العالم الغربي للعالم العربي، ولكي يتحقق المبتغى لابد من معرفة كل شاردة وواردة من تاريخ وحاضر الوطن العربي، ولم تكن سوى الدراسات الإستشراقية معينا على ذلك. وبالتالي إستعانت السلطات الغربية بخبراتهم وثقافتهم عن تلك البلدان من أجل إحكام السيطرة[5]، والدليل على ذلك تراجع في عدد الدراسات الإستشراقية بعد سنة1960، وهي السنة التي أعلنت فيها الأمم المتحدة إنهاء

الإستعمار، كما إختفت من النظم السياسية في الدول الغربية وزارة المستعمرات التي كانت ملجأ يعيش في كنفه الكثير من المستشرقين[6]. وبالتالي أغلب الدراسات الإستشراقية عبارة عن حلقات متواصلة تهدف إلى التعرف على الشرق علميا وفكريا وأدبيا ليس لهدف المعرفة العلمية، وإنما لإستغلاله إقتصاديا وثقافيا وجعله منطقة نفوذ يسيطر بها على العالم[7].

ولم يكن الدافع الديني التبشيري أقل شأنا عن بقية الدوافع؛ إذ أن العصر الوسيط هو العصر الذهبي للعالم الإسلامي على عكس العالم الغربي تماما. ولأن الإسلام نجح في الإنتشار بجنوب أوربا، وكان وجوده بالأندلس بشكل خاص فريد في حجمه وشكله، هذا النجاح شكل خطرا يهدد الكنيسة هنالك، الأمر الذي جعلها تعمل على إنشاء مراكز علمية لتعليم اللغة العربية، ولدراسة العقيدة الإسلامية، لاسيما بعد أن أصبح الفكر الفلسفي الإسلامي يشكل خطورة على المجتمعات الإقطاعية بأوربا وتنبيه الجهات المعارضة له[8]. ويجدر بنا التنويه إلى أن بداية الإستشراق لم يكن وليد الفترة الحديثة وإنما يرجع إلى العصر الوسيط[9]، ولهذا كله كان البحث عن الإسلام كعقيدة وشريعة ودراسة النظم في العالم الإسلامي أهم المحاور التي ركزت عليها الدراسات الإستشراقية.

وإن كان للإستشراق أهداف ودوافع إستعمارية وأخرى تبشيرية، فإنه من الإنصاف أن نعترف له بالخدمات التي أسداها للفكر الإسلامي وللغة العربية، لما نشر من ذخائر وتراث الفكر الإسلامي العربي، وعمل على بعثه من جديد عن طريق تحقيق عدد هام وقيّم من المخطوطات النفيسة، بل وكثيرا ما كان له السبق في ذلك، والأمثلة في ذلك تطول. ولانشك في أن هذا النوع من الدراسات كانت لدوافع علمية للاستزادة في العلم وإخراج الحضارة العربية الإسلامية إلى النور.

1: الرؤى الاستشراقية من الحركة العلمية العربية الإسلامية:

كثيرون هم المستشرقون الذين أقروا بالإنجازات العلمية الإسلامية في مجال العلوم العقلية، والتنبيه إلى إبتكارات المسلمون وإكتشافاتهم في سبيل التقدم بهذه العلوم، والأكثر أنهم إعترفوا بإسهاماتهم العلمية في تطور ونهضة أوربا في العصر الوسيط. ولأن المجال لايسعنا لحصر ورصد ثم تقييم كل ماكتب من قبل المستشرقين في إطار تحقيق وتقديم وتقييم التراث الإسلامي، وكذا صعب رصد الدراسات العربية هي الأخرى التي إهتمت بالإستشراق سواء كانت أكاديمية أو دراسات حرة لأنها تكاد لاتعد ولاتحصى، فإننا إكتفينا بأخذ أنموذج واحد ويتعداه إلى الثاني وأحيانا إلى الثالث بحسب الضرورة العلمية على سبيل المثال.

وإنه لمن الصعوبة إصدار حكم موحد ونهائي حول تحديد الرؤى الإستشراقية من العلوم العقلية عند المسلمين، لأنها هي مجموعة من المواقف المختلفة، والتي تباينت بتباين النزعات والدوافع من مستشرق لآخر، والعوامل المؤثرة في كل منهم. ومن تم فمن غير الممكن ومن الجور أن نضعهم في بوتقة أو زمرة واحدة. وعليه يمكن أن نصنفها إلى صنفين رئيسيين، موقف يشيد بهذه الحضارة وفضلها على النهضة الأوربية الحديثة، وآخر معادي لها لا يرها سوى تكرارا لما جاءت به الحضارات القديمة لاسيما الإغريقية.

أ. المواقف الاستشراقية المشيدة بالسبق العلمي العربي:

من المستشرقين المشيدين بالحضارة الإسلامية في العلوم العقلية ول ديورانت (Will Durant1885-1981) ذاكرا إرتقاء العرب بالعلوم التي نقلوها عن علماء الإغريق فيقول:" إرتقى العرب بالعلوم التي نقلوها، وأعملوا فيها عقولهم الذكية، فطوروا ما إقتبسوا من طور الترجمة، وسموا به إلى طور

الإبداع"[10]. ولم يختلف عنه فيليب حتي إذ قال: "لم يكتف العرب بالنقل والتقليد، بل تعدوهما إلى التكييف والتجديد، فهم لم يقنعوا باستيعاب تراث فارس الفني وتراث اليونان العلمي على ماكان عليه، بل حوّروا التراثيين بموجب حاجاتهم وطرق تفكيرهم، وبعد أن طبعوا ماترجموه بطابع العقلية العربية في خلال قرون عدة إنتهى أخيرا ماإبتكروه إلى أوربا فصار أساس العرفان الذي دان له الفكر الأوربي"[11].

ب. المواقف الاستشراقية العدائية:

حاول الكثير من المستشرقين أن يغضوا الطرف عن دور علماء العرب والمسلمين بالتقدم الذي حققوه في العلوم التطبيقية، وعملوا جاهدين على عدم إسناد الطريقة التجريبية لهم، بل أرجعوها زورا وبهتانا لعلماء الحضارات القديمة. وما هذا التصحيف إلا حلقة من حلقات التضليل في معرفة المصدر الحقيقي للحضارة الأوربية الحديثة[12]. والعينات من هؤلاء كثيرة؛ فيقول المستشرق أرنست رينان (Ernest Renan1892-1823):" كثيرا ما يردد القول عن العلم العربي والفلسفة العربية، وفعلا أن العرب كانوا أساتذتنا طيلة قرن أو قرنيين من العصر الوسيط، ولكننا ما لجأنا إلى ذلك إلا ريثما نحصل على الأصل اليوناني، ومتى تركزت اليونانية الحق أصبحت هذه النقول الداهشة عديمة الجدوى، ولأمر ماشن عليها علماء اللغة في عصر النهضة حربا صليبية شعواء....، هذا إلى أننا إذا تمعنا في كل هذه الآثار نجد أن العلم العربي لاشيء عربي فيه... وأن صفحة من روجر بيكن لتحوي من التفكير العلمي الحق أضعاف ما في هذا العلم غير الأصيل بأكمله، فهو دون شك حلقة محترمة من حلقات التراث إلا أنه لايشتمل على شيء وافر من الطرافة"[13]. ويسمي من جهته بيكر حضارة العرب "بأسطورة حضارة العرب"[14].

وعمل الألماني فوبكة (Woepcke) جاهدا في المقارنة بين التراث العلمي الإسلامي واليوناني هادفا إلى رد إنجازات العرب والمسلمين إلى اليونان[15]، ويقول آخر: "إن ما يدعى بالحضارة العربية لاوجود له البتة كظاهرة مبرزة للعبقرية، فهذه الحضارة إنما أنشأها شعوب أخرى كانت لهم مدنيات قائمة قبل أن تستعبد قهرا من قبل الإسلام، فإستمرت خصالها القومية في نمو برغم ماصب عليها الفاتح من ألوان الإضطهاد"[16]. أما الألماني فون غرنباوم الذي قال أن الحضارة الإسلامية قامت على الإقتباس والإستعارة لاضابط ولا حدود لها من الحضارات اليهودية والمسيحية والهلينية، بل والألمانية القديمة"[17]. نكتفي عند هذا القدر من الهترات والإفتراءات الإستشراقية في حق الحضارة العلمية الإسلامية.

ولسنا في حاجة إلى الرد على هؤلاء وأمثالهم كثر، مادام أنه كان من قبل مستشرقين آخرين، فيشير غوستاف لوبون (Gustave Le Bon1841-1934) إلى أسباب التي جعلت رينانRenan وغيره إصدار أحكامهم تلك فيقول: "لقد تراكمت أوهامنا الموروثة ضد الإسلام والمسلمين في قرون كثيرة، فصارت جزء من مزاجنا....فإذا أضفنا إلى أوهامنا الموروثة ضد المسلمين، وهمنا الموروث الذي زاد مع القرون بفضل ثقافتنا المدرسية البغيضة القائلة: إن اليونان واللاتين وحدهم منبع العلوم والآداب في الزمن الماضي، أدركنا بسهولة سر جحودنا العام لتأثير العرب العظيم في تاريخ حضارة أوربة"[18]. وفي السياق ذاته يعترف ول ديورانت (Will Durant) قائلا"إن ضؤولة مايعرفه العالم المسيحي الغربي اليوم عنهم دليل على التقصير والجهل وضيق الأفق والتعصب وحسبنا دليلا على فضلهم أن نقرّ بأن الطريقة العلمية التجريبية التي أعلنها روجر بيكون (Roger Bacon1214-1292) كانت صدى مردودا للطريقة التي إتبعها جابر بن حيان قبله بخمسة قرون"[19]. ويشيد من جهته جواتياين (shelomo

(Dov Goitein1985-1900) بتفوق العلماء العرب بشكل ضمني من حيث السبق في الإبتكارات عن سابقيهم بقوله: "حملة الحضارة الوسطى قد فاقوا معلميهم قدماء الإغريق والرومان"[20]. ولأننا بحاجة إلى إعترافات إستشراقية بالإنجازات العلمية الإسلامية، خاصة وأنها ردودا على إفتراءات إخوانهم، نضيف تعليق المستشرق الفرنسي لويس سيديو (Louis sedillot) الذي أنصف العلماء المسلمين إذ قال: "لقد حاول الأوربيون أن يقللوا من شأن العرب، ولكن الحقيقة ناصعة وليس هناك من مفر إلا أن نرد للعرب مايستحقون من عدل عاجلا أم آجلا"ويوافقه الرأي المستشرق ديبر فيدين لما قال: "ينبغي علي أن أنعي الطريقة المحكمة التي تحامل بها الأوربيون لإخفاء مآثر المسلمين العلمية علينا"[21]. ومن جهته يقر البريطاني بريفولت (Privolte)بأهمية المنهج العلمي الإسلامي في القيام بالنهضة العلمية التي عرفتها أوربا الحديثة إذ يقول: "فالدراسات العلمية التي ظهرت في أوربا كانت كذلك نتيجة للتجارب والملاحظات ودقة المقاييس، وكل هذه الدعائم لم تكن معروفة للإغريق، إنها جميعا هدية المسلمين إلى أوربا"[22].

وفي السياق نفسه تشيد المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة Zkerid (Hunke1913-1999) قائلة: "إن الحضارة الإسلامية المبتكرة لم تأخذ عن الحضارة الإغريقية أو الحضارة الهندية إلا بقدر ما أخذ طاليس وفيثاغورث من الحضارتين البابلية والمصرية"ثم تضيف"قدم المسلمون أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب معرفة أسرار الطبيعة وتسلطت عليها اليوم"[23]. نختم الردود الإستشراقية بتعجب غوستاف لوبون (Gustave Le Bon) من الإنجازات العلمية العربية فقال" والإنسان يقضي العجب من الهمة التي أقدم بها العرب على البحث، فإذا كانت هنالك أمم قد

تساوت هي والعرب في ذلك فإنك لاتجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل"[24]، ثم يضيف"إن أوربا مدينة للعرب بحضارتها"[25].

هذا وبطبيعة الحال حاول باحثو الشرق من جهتهم الدفاع عن الموروث والإجتهاد والسبق العلمي العربي الإسلامي، وفضله على أوربا-حتى وإن لم يعترف الكثير من المستشرقين بذلك كما سبق وأن أشرنا-فظهرت مجموعة من العناوين نذكر على سبيل المثال لا الحصر: سلسلة في الميزان للباحث شوقي أبو خليل"غوستاف لوبون في الميزان"،"كارل بروكلمان في الميزان"، و"موضوعية فيليب حتي"، وكتاب "إفتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان"لعبد الكريم علي الباز، وكذا كتاب"المستشرقون والتراث" للباحث عبد العظيم الديب، وآخر للباحث قاسم السامرائي بعنوان"الإستشراق بين الإفتعالية والموضوعية"، وآخر للباحث مراد يحيى والموسوم"ردود على شبهات المستشرقين"، والقائمة في ذلك تطول، مما يعني أن الإهتمام الشرقي بالدراسات الإستشراقية من المواضيع التي قتلت بحثا.

ويبدو دون عناء أن الدافع في ظهور هذه التآليف العربية يقدر بإحتمالين لاثالث لهما وهما: إما الرد عن الإفتراءات الإستشراقية في حق الإنجازات العلمية الإسلامية، وإما بدافع إستعراض ماكتبه المستشرقون عن حضارتنا الوسيطية من باب الإفتخار بإهتماماتهم. وفي الحالة الأولى إلى أي مدى وفّقت هذه الدراسات في الدفاع والردود؟ وما هي الطرق والمناهج المتبعة في سبيل ذلك؟ والأهم في كل هذا هل كانت أحكامهم عامة أم مجزأة؟

2: الردود والأحكام الشرقية:

إن عبّر بعض المستشرقون عن رأيهم تعبيرا صريحا واضحا بما يحمله من كره وعداء للعرق العربي والملة الإسلامية، فإن بعضهم الآخر تأرجحت

رؤيتهم لعالم الشرق بين المدح والإطراء والدسيسة المغرضة وحينها"نقف في حيرة لاندري أي سبيل نسلك وبأي حكم سنخرج في النهاية، خاصة وأن الكاتب يعلل تحليله (بحب الفهم) وبعدم الانسياق مع التأثير اللاشعوري بالأفكار العنصرية المسبقة، فقد يستهوينا ذلك ويجعلنا ننتظر موقفا موضوعيا نزيها، ونقع في الفخ ولاننتبه، وما هو إلا السم قد دس في الدسم"[26].

وبالفعل ذاك هو الفخ الذي وقع فيه كثير من مفكرينا للأسف؛ إذ نجد في دراساتهم الإهتمام الكبير بما حوته الدراسات الإستشراقية، فاجتهدوا في تحليلها مفرزين بين الصواب والخطأ في كل منها، ونتفاجأ في آخر المطاف بالحكم النهائي لها، والمتمثل في وصف دراسة ما بالموضوعية المطلقة، ولنا في ذلك دليل، ولانريد من ذلك تجريح ولاتشهير بأصحابها، ولا التقليل من شأنهم كمفكرين وباحثين في الإستشراق أو غيره، لكن العلم لايحتاج إلى مداراة ومجاملات وإلا لايصبح كذلك.

نقف وقفة مع الباحث شوقي أبو خليل الذي إعتنى بالفكر الإستشراقي ودافع عن الحضارة الإسلامية، ورد على هفوات والإفتراءات التي جاء بها العديد من المستشرقين، ومع ذلك نجد له هفوات في بعض الردود والتقييم. فمن مؤلفاته كتاب"موضوعية فيليب حتي". وبالرجوع إلى كتاب فيليب حتي "تاريخ العرب المطول"أو "وجيز حضارة العرب"، نلمس له إعترافات وإشادة بإنجازات الحضارة الإسلامية فيما يخص العلوم العقلية، فعلى سبيل المثال قوله:" لم يكتف العرب بالنقل والتقليد بل تعدوهما إلى التكييف والتجديد، فهم لم يقنعوا بإستيعاب تراث...وانتهى أخيرا ماابتكروه إلى أوربا...فصار أساس العرفان الذي دان له الفكر الأوربي"[27]. ومنها قوله كذلك:" كانت أهم مبتكرات العرب في الطب والفلك الكيمياء والرياضيات والجغرافية فضلا عن التاريخ والشّرع والأدب، وإهتمام العرب بعلم الشفاء يدل عليه الحديث الشريف:"

العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان"[28]. وفي حديثه عن كتاب الحاوي للرازي يقول:" حوت خلاصته ماكان في حوزة العرب من المعارف المستقاة من المصادر اليونانية والفارسية والهندية مع ماجاء به العرب أنفسهم من إبتكارات الخاصة الطريفة"[29]، ثم يضيف:" أرشد الإسلام أوربا المسيحية إلى النظرة الحديثة في العلم والدين"[30].

بالمقابل قزّم من حجم العلماء المسلمون في مواضع أخرى فيقول: "لم ينشأ العرب إمبراطورية وحسب، بل أنشئوا ثقافة زاهرة"، والصواب أنهم أنشئوا حضارة زاهرة[31]. كما يذكر في كتابه"تاريخ العرب المطول"أن العرب"قاموا مقام الوسيط في أن نقلوا إلى أوربا خلال العصور الوسطى كثير من هذه المؤثرات الفكرية التي أنتجت بالتالي يقظة أوربا الغربية"[32]. وعلى هذه الفكرة يرد شوقي أبو خليل قائلا:" إن الحضارة العربية لم تكن واسطة واكتفت بنقل الحضارة إلى أوربا، بل حفظت تراث الحضارات القديمة السابقة من الضياع، وأبدعت وأضافت والكتب التي أنصفتها كثيرة وإن لم ينصفها حتي"[33].

وفي مايخص علم الجغرافية فيذّكر حتي بمحدوديته في الغرب، وهو تقليلا منه لإنجازات جغرافيي العالم الإسلامي، والتي يقر بها أندري سرفي(Andrea survey)– أساء هذا الأخير كثيرا لعلماء المسلمون–إذيقول: "أبقى العرب في الجغرافيا كتبا لاشك طريفة، ومكنتهم قوة ملاحظتهم من تسجيل عدد من الإرشادات النفيسة، فنقلوا الواقع نقلا أمينا وفيا، وكانت معظم رواياتهم صحيحة دقيقة"[34].

ومن الحقائق النسبية التي أشار إليها فيلب حتي ويشاطره فيها آخرون، هي التأكيد على أن أشهر العلماء المسلمون في الطب وعلم الفلك والرياضيات هم فارسيو وسريانيو أو يهوديو القومية، عربيو اللغة[35].

وهي حقيقة يراد بها باطل والمتمثل في تحقير العنصر العربي هذا من جهة، ومن جهة أخرى يحاولون تضليل الحقيقة التاريخية بالإعتماد والتركيز على العرق واللغة والثقافة. تمنينا لو كان ردا قويا وأعمق من قبل الباحث شوقي أبو خليل بهذا الخصوص، إلا أنه للأسف إكتفى بتقديم البديل واثبات فعالية العنصر العربي في الإبتكارات العلمية واردا لبعض الأسماء كابن الهيثم، وإبن النفيس وخالد بن يزيد[36].

وبخصوص علاقة العنصر العربي والعلم يقول آخر:" ولم يساهم العنصر العربي فيها إلا بمقدار هزيل يكاد لايذكر...فالكندي مثلا.... لم يكن سوى يهودي من الشام إعتنق الإسلام وما كتبه.... مجرد نقل وإقتباس من أرسطو وشراحه... وفي الطب أيضا لانجد طرافة ولا ابتكارا. ورسائل أبي القاسم وابن زهر وابن البيطار–وثلاثتهم من أصل إسباني.... وابن خلدون، المولود بتونس كان من أصل إسباني"[37].

يهدف هذا النص إلى أن علماء العرب ممن ولدوا ونشؤو بالأندلس إنما مواهبهم من خاصيات الغرب[38].

وفي ذات السياق كان ردا قويا مقنعا من قبل الباحث السويسي؛ إذ وقف مطولا في معالجة هذا الإدعاء، فنبه على أن التقليل من شأن العنصر العربي، وفشله دون تحقيق الإنجازات إعتمد فيه المستشرقون على نصوص ابن خلدون، وجعلها مرجعية لإصدار أحكامهم البغيضة على هذا العنصر؛ إذ يشير هذا الأخير :" ومن الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم عجم، لامن العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا في القليل الناذر، وإن كان منهم عربي في نسبته فهو عجمي في مرباه ومشيخته مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي"[39].

يبدو واضحا أن الإسطغرافية الإستعمارية وظفت نصوص إبن خلدون مفصولة عن سياقها العام وهو أمر معتاد عندها؛ إذ أن نص إبن خلدون الذي أوردناه يستدعي التأمل بحيث قال في بدايته:" من الغريب الواقع"هي عبارة دالة على أن ابن خلدون يستغرب هذا الوضع ولا يراه طبيعيا. فالعرب ليسوا جنسا بطبيعته رافضا للعلم خاليا من المعارف، وبالتالي فهو يتألم لهذا الوضع في قرارة نفسه، ولايمكن أن يكون بخلاف ذلك وهو عربي حضرمي[40].

وكان دفاع ذات الباحث أبعد من هذا وأعمق، لما حاول جاهدا بالحجة المقنعة إيجاد علاقة بين اللغة العربية والحضارة الإسلامية؛ إذ أن العلم لاينسب إلى جنس معين، وإنما إلى اللغة التي حرر بها وبواسطته نشر[41]. ولأن المقام لايسعنا في الخوض بالتفصيل في هذه النقطة نكتفي بهذا القدر لنعود بأدراجنا على إفتراءات حتي في العلوم العقلية والردود على ذلك.

من إفتراءات فيليب حتي على إبتكارات المسلمين في حقل العلوم العقلية قوله:" على الرغم من إقتدارهم على الملاحظة المظاهر العلمية وجدهم في جمع الحقائق، وجدوا صعوبة في رسم النظريات السديدة، وإستخراج النتائج العلمية المحققة، فكان هذا أضعف المواطن في طرق تفكيرهم"[42]. وكثيرة هي الردود الإستشراقية والشرقية على حد السواء التي أثبتت نجاعة إبداعات العرب في البحث العلمي القائم على التجربة. وبغض النظر عن والهفوات التي قدمها حتي في مجال العلوم العقلية، فإن إفتراءاته مست الأمة الإسلامية في شخص نبيها الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وعبر عن الفتوحات الإسلامية بمصطلح الإغتصاب، الإكتساح، الإستيلاء بالمقابل يسمي الوجود النورماني بصقلية فتحا[43]، فهل هذه هفوات أم افتراءات؟

يقول الباحث شوقي أبو خليل في بداية كتابه: "قدمت أهم وأبرز وأكثر ما فيه من تشويه أو سوء فهم، وقدمت هفواته وإفتراءاته"[44]، ويقول في موضع

آخر: "ونحن لانريد أن نهاجم إعتقادا، أو نبطل عقيدة، فعندنا من سعة الصدر ما يتسع لرد افتراءاتهم وهفواتهم"[45]. فمن تصريحاته إذن وتصفحنا لمؤلفه يتضح أنه عمل على التنبيه إلى الأخطاء والهفوات والإفتراءات عند فيليب حتي، وعمل على التدليل إلى مواضع موضوعيته، مما يدل على أنه إنتقاها إنتقاء. وعليه فعلى أي أساس خرج بخلاصة نهائية، والحكم عليه بالموضوعية حتى عنون مؤلفه ب«موضوعية فيليب حتى"ألم يكن في هذا العنوان حكم عام لم يعتمد فيه الوقوف على الجزئيات؟ إذ جاء في مواضع أخرى من الكتاب ماهو عكس ذلك، إذ علق عن موضوع الإبتكارات العلمية الإسلامية"... والكتب التي أنصفتها كثيرة وإن لم ينصفها حتي"[46]. فما هو المعيار الذي إعتمده باحثنا في إستنتاج الموضوعية؟

النموذج الثاني من الدراسات الإستشراقية، هي دراسة مميزة من حيث أنها إستطاعت أن تفرض وجودها وقيمتها العلمية على مفكري العرب المعاصرين، وأسالت في إعتقادنا الكثير من الحبر، فتباينت المواقف حولها، ولو أن المشيدة بها والواصفة لها بالموضوعية وبالإنصاف في حق الحضارة الإسلامية أكثر من المواقف التي أنكرت عليه جهده العلمي في سبيل حضارتنا، هذه الدراسة هي كتاب"حضارة العرب"للمستشرق الفرنسي غوستاف لوبون.

يحوي كتاب حضارة العرب كثير من الإطراء للحضارة العربية في العصر الوسيط حتى قال مترجم الكتاب في مقدمته:" فمن درس كتاب حضارة العرب وإمعان النظر فيه، يتبين للقارئ أن العلامة غوستاف لوبون سلك في تأليفه طريقا جديدا لم يسبقه إليه أحد، وأنه حاول فيه بعث حضارة العرب من مرقدها وإظهارها للملأ على وجهها الصحيح"[47]، ومن الإطراء والجميل الذي أشاد به لوبون في كتابه حول العلوم العقلية عند العرب نذكر مقتطفات على سبيل المثال لا الحصر منها قوله:" ونشأ عن منهاج العرب التجريبي وصولهم إلى

إكتشافات مهمة... أنهم بالحقيقة أنجزوا في ثلاثة قرون أو أربعة قرون من الإكتشافات مايزيد على ماحققه الإغريق في زمن أطول من ذلك كثيرا، وكان تراث الإغريق العلمي قد إنتقل إلى البيزنطيين فلم يستفيدوا منه منذ زمن طويل، فلما آل إلى العرب حوّلوه إلى غير ماكان عليه، فتلقاه ورثتهم مخلوقا خلقا آخرا. ولو يقتصر شأن العرب على ترقية العلوم بما إكتشفوه، فالعرب قد نشروها كذلك، بما أقاموه من الجامعات وما ألفوه من الكتب"[48].

ويبدو من هذا النص أن لوبون أنصف التطور في العلوم عند العرب كل الإنصاف، لكن بالوقوف على الجزئيات والتطرق لكل علم على حدا نجد فيها ماينقذ وجهة نظره الأولى. فمن أخطائه في حق العلوم عند العرب قوله:" ظهر من العرب رجال من الطراز العالي، كما تشهد بذلك إكتشفتاهم، ولكنني لاأظن أنهم أخرجوا رجالا عظماء كأولئك العباقرة الذين ذكرتهم[49] والعرب كانوا دون الإغريق في كثير من المسائل، مساوين للرومان في الذكاء لا ريب، غير حائزين إلا لوقت قصير"[50]. لكنه لم يثبت بالدليل القاطع قوله أمام ما وصل إليه المسلمين من إبتكارات ومناهج جديدة للوصول إلى الحقيقة، مما جعلت من معجزة اليونان أسطورة أمام المعجزة العربية[51].

ولا يمكن في أي حال من الأحوال أن نصف أخطاء لوبون بالهفوات، كما عمد بعض باحثينا وصفها[52]، بل نراها أخطاء عمدية مادام تم تكرارها كلما سنحت الفرصة في ذلك؛ ففي مؤلف آخر يشير لوبون قائلا:" فعلماء واضعي علم الفلك الحاضر مثل كوبرنيك، كيبلر ونيوتن يتصلون ببيطليموس صاحب الكتب التي تداولت في تعليم هذا العلم إلى القرن الخامس عشر، ويتصل بطليموس من طريق الإسكندرية بالمصريين والكلدان هكذا ينهض من خلال ذلك النقص الفادح الذي نراه في تاريخ حضارة الأمم تطور بطيء في معارفنا نرجع فيه بين العصور الماضية والأمم الخالية حتى نصل إلى فجر

الحضارات الأولى"[53]. وما يلاحظ على هذا النص أن صاحبه تجاوز أهم حلقة من حلقات التطور العلمي ألا وهي حلقة المعرفة العربية، فهل تجاوزها كان سهوا أم جهلا؟ وكلا الأمرين مستبعدين، لأن دارس العلوم عند العرب لابد وأن يكون قد ربطها بالحضارة الإغريقية، ولابد وأن تكون له خلفية عنها، كما لابد وأن له إطلاع واسع بما أفرزته على النهضة الأوربية. وعليه فمن المستبعد أن يكون لوبون جاهلا لتصريحات نيوتن(1642-1727) Isaac Newton ذاته الذي قال: "مازعم بطليموس أنه قام به من الأرصاد لم يتم البتة، ولم يجره بطليموس مطلقا، بل أنه صنعها قصدا كي تبدو نظرياته موافقة لأشهر الفلكيين المتقدمين عنه في الزمن، وبالجملة إن أرصاد بطليموس كاذبة...تكاد تكون الأرصاد البابلية والإسلامية هي الأرصاد الوحيدة المفيدة التي قام بها أهل الفلك قبل بداية النشاط العارم في هذا الميدان من قبل أوربا حوالي سنة1300م"[54].

ويناقض لوبون نفسه من جديد بصدد حديثه عن المنهج التجريبي عند العرب، لما يستشهد بقول دولانبر في كتابه"تاريخ علم الفلك":" إذا استطعت أن تعد بين الإغريق راصدين أو ثلاثة رأيت بين العرب عددا كبيرا من الرصاد"، وعن الكيمياء يقول لوبون:" فلا نجد مجربا يونانيا مع أن المجربين من العرب فيها يعدون بالميئات"[55]. هذا ولم يبد تعليقا بخصوص علم الفلك، في حين يؤكد ما قاله عن الكيمياء ب:" إن لاقوازيه Antoine-Laurent de Lavoisier (1743-1794)هو واضع علم الكيمياء، فنسوا أننا لاعهد لنا بعلم من العلوم ومنها الكيمياء، صار إبتداعه دفعة واحدة، وأنه كان عند العرب من المختبرات ما وصلوا به إلى إكتشافات لولاها ما إستطاع لاقوازيه أن ينتهي إلى إكتشافاته"[56]، ويوافقه المستشرق ول ديورانت لما أنسب الكيمياء إلى العرب[57].

وإن كان فيليب حتي فصل العنصر العربي عن التقدم العلمي بهدف إبراز فكرة قصوره عن الإبتكارات والتجديد في العلوم التجريبية، فإن خطأ لوبون كان أخطر من سابقه، ذلك لما فصل الإكتشافات العلمية العربية عن الدين الإسلامي بقوله: "أنه لم يكن للإسلام ديانة تأثير في آثار العرب العلمية والفلسفية"[58].

وينتقد هذا الأخير من جديد فيما أورده من فصل الدين الإسلامي عن العلوم عند العرب، يظهر جليا ذلك في حديثه عن المجال الصحي عند المسلمين، فأشار إلى أن العرب لم يجهلوا في حياتهم أهمية حفظ الصحة، مع ضرورة الوقاية قبل وقوع المرض فيقول:" وليس فيما نسب إلى النبي من الوصايا الصحية ماينتقد"[59].

وكعادته إجتهد الباحث السويسي في إيجاد ردا مقنعا بالحجج القوية والبراهين المستخلصة من القرآن الكريم، بدءا بالآية الكريمة قوله تعالى:﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق..﴾(سورة العلق، الآية1). بمعنى أول تعاليم الإسلام ركز على المعرفة وضرورة طلب العلم. هذا وقد وظف الباحث جل الآيات القرآنية التي تحث على المعرفة والتدبر في أسرار الخلق، من ذلك قوله تعالى:﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾(الحشر، الآية2) وقوله تعالى كذلك: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾(النحل، الآية 78)، كما قال سبحانه وتعالى في باب الحث على العلم:﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾(الزمر، الآية 9).

وأكد باحثنا السويسي أن العلم في نظر المسلم هو مشاهدة وتأمل عقلي"رؤية ورأى–بصر وبصيرة –نظر مادي ونظر عقلي"وأطلق علماء الإسلام على هذه الإزدواجية لفظ الإعتبار أو التجربة وهذه الطريقة تجمع بين الحس والنظر والإقتران بين عنصر المعرفة المادي وعاملها العقلي ويستشهد السويسي

في ذلك بقول ابن رشد:" إن الشريعة تحث على النظر في الكائنات والإعتبار وطلب المعرفة بواسطة العقل"[60]، ونعتقد بعد هذا الرد، لم يترك لنا السويسي مجالا لإضافات أخرى بإعتبار رده كان مستوفيا. إذن العلاقة وطيدة بين العلم والإيمان في الإسلام وهي علاقة تكاملية وليست علاقة إتضاد وتضارب، بل على العكس من ذلك فكثير من الحقائق العلمية المتوصل إليها كانت سببا في زيادة الإيمان عند المسلمين، وإعتناق الإسلام عند غيرهم من الديانات الأخرى[61].

نعود بأدراجنا إلى الإنتقادات التي أوردها لوبون في كتابه، فبعدما حاول أن يفصل الدين الإسلامي عن تطور العلوم عند العرب، يعود ويقول: "وأن كل بلد خفقت فوقه راية الرسول تحوّل بسرعة فازدهرت فيه العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة أيما إزدهار"[62].

وعن تقييم الرؤى الشرقية لكتاب"حضارة العرب"لغوستاف لوبون، يقول من وضعه في الميزان، أنه قد أحصى خمسون هفوة وخطأ في الكتاب، لاسيما بما يتعلق منها بالقرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، ولم ينوّه لها مترجم الكتاب عادل زعيتر[63]، فضلا عن جملة من الأخطاء والتناقضات التي تعلقت بالعلوم العقلية عند العرب التي أوردنا منها نماذج. لكن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة: هل مايمس كتاب الله العزيز"القرآن الكريم" وشخص نبيه المختار صلى الله عليه وسلم ووصفه بالمتهوّس، خاصة لما يعاد الوصف ويتمادى في ذلك أكثر من مرة في الكتاب ذاته[64]، وفي كتاب آخر لذات المؤلف[65] يصنف هذا الوصف والتحليل من باب الهفوات أم من الأخطاء؟ بل نرها من الأخطاء الجسيمة التي لايمكن تجاهلها وإغتفارها.

إنه من العبث أن نصطاد مما كتبه غوستاف لوبون وغيره جمل حول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم تروقنا من وسط جملة من التفسيرات

والتأويلات الخاطئة واللامحدودة الخاصة بتصرفاته كنبي وكفاتح وكإنسان، ثم نخرج بالخلاصة التالية وهي: "إننا إذا قلنا إن لوبون قد أنصف العرب فلا نكون قد أنصفنا لوبون نفسه، وأجدر بنا أن نقول: "إنه المدرة البليغ الذي رافع عنهم أمام محكمة التاريخ"[66].

ونكاد نجزم أن الأخطاء التي وقعت في حق الحضارة الإسلامية وعلمائها، وفي حق الدين الإسلامي وصاحب البعثة صلوات الله عليه وسلامه، هي ليست هفوات كما فضّل بعض مفكرينا وباحثينا تسميتها، فالهفوة غير الخطأ من المدلول اللغوي، لأن من ينصف المسلمين والعرب فيما توصلوا له من التطور في العلوم، مستحيل ألا يدرك دينهم الحنيف، ولاينصف نبي الله الكريم، والفتوحات الإسلامية. وإن عجز المستشرقون عن الإدراك الحقيقي لدين الإسلام، وحقيقة الوحي المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يكن ذلك ناتج عن قصور عقلي لديهم كما نظّر له ابن خلدون إذ يقول في مقدمته:" العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لاكذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره، فإن ذلك مثل رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال"[67] وإنما من منطلق التعصب الديني ليس إلا.

وما يثير الدهشة والحيرة والقلق في ذات الوقت هو تبوأ الدراسات الإستشراقية بما تحويه من إقرار بفضائل الحضارة الإسلامية وإفتراءات وإتهامات باطلة ضدها في آن واحد من قبل الرؤى الشرقية مكانة لاتستحقها، بل والأخطر أن تصبح مرجعية في دراسة الحضارة العربية الإسلامية، فذاك للأسف ما نشر في مجلة"الرسالة"المصرية وهذا مما جاء فيها: "ظهر كتاب حضارة العرب، والشبيبة العربية حائرة لضعف في إيمانها وعوج في تربيتها ووهن في ثقافتها وعجمة في لغتها ويأس من أمتها وخجل من ماضيها وغموض في

حاضرها...ظهر هذا الكتاب النفيس ليقول بلسان الأجنبي، لضعيف الإيمان: هذا هو الصخر من عظمة الأجداد فابن عليه إيمانك الوطني الضاوى الهزيل ويقول لليائس: من كان لأمته مثل هذا الماضي المشرق اللامع لايمكن أن يتسرب اليأس في قلبه..."[68]، ومما نشر في مجلة"اليقظة" الشامية: "والقارئ العربي إلى جانب مايستفيده من معلومات في الكتاب يعتز وتتولد فيه أحاسيس من الكرامة القومية ويزيد حذرا من المستعمرين وعرفانا لسوء نياتهم حين يمعن في التفكير فيما يقرأ"[69].

3: ملاحظات تقييمية:

-من الإنصاف أن نعترف للحركة الإستشراقية بالخدمات الجليلة التي أسدتها للتراث الإسلامي، لكن الإعتراف بهذه الخدمات لايعني أبدا إغفال العيوب والأخطاء التي وقع فيها هؤلاء نتيجة عدم التحكم في اللغة العربية، وعدم الإلتزام بالموضوعية في مواضع عديدة في دراستهم، بدافع التحامل على الدين الإسلامي والشعوب الإسلامية، والإنحياز لمواقف سياسية ومذهبية معينة، وذلك بتحريف بعض الحقائق والإعتماد على أضعف المصادر مما يؤدي حتما إلى الإبتعاد عن الموضوعية والإغراق في الذاتية.

-إن كان من الصعوبة تحديد المواقف الإستشراقية من العلوم العقلية عند العرب، نتيجة الأهداف والدوافع المتباينة، فإنه من الأصعب تحديد ومعرفة المواقف الشرقية إزاءها، في ظل غياب معايير محددة توظف لأجل ذلك. وما هو منتظر من الدراسات الشرقية هو أن تجزأ أحكامها حول الدراسة الواحدة، بدل أن تخرج بحكم واحد عام كيفما كان طبيعته. خاصة وأن الهدف من الإهتمام بالإستشرق هو التنبيه والتمييز بين ماهو صحيح وما هو

إفتراء عند كل مستشرق. فعلى أي أساس تخلص في آخر المطاف بالموضوعية أو عكس ذلك.

-على مفكرينا وباحثينا أن يردوا ردا منطقيا دقيقا، ومعقولا وممنهجا، على غرار رد الباحث محمد السويسي الخاص بمجال العلوم العقلية-مقارنة بما وقع بين أيدينا من الدراسات في إنجاز هذا البحث.

-لايكمن أن تبوأ الدراسات الإستشراقية مكانة أكثر مما تستحق، ولايمكن أن تصبح مرجعية لدراسة تاريخ الحضارة العربية والإسلامية عامة، ويوجه بالشباب العربي إليها قصد ذلك، حتى وإن إتصفت بالموضوعية، فإن هذه الأخيرة وإن ذكرت عشرات الإيجابيات، فإنها أقل أهمية، في المقابل تذكر عيبا واحدا وتجدّ لتمكينه في النفوس[70]، وبعبارة أخرى فهي وإن أشادت بإنجازات علماء المسلمون فإنها ضربتهم في عقيدتهم ونبيهم.

ونختم مقالنا بقول الإمام محمد الغزالي"أن جمعا غفيرا من المثقفين في بلادنا بوّأ هؤلاء مكانة هم دونها بيقين، ووقعوا في شباكهم..."[71]. وفي هذه الحالة الإشكال الذي يبقى مطروح: هل خلا عالمنا العربي الإسلامي المعاصر من مفكرين وعلماء وباحثين ونصحاء كتبوا للحضارة الإسلامية هم أهل لئن نوّجه إليهم شبابنا للنصح والإعتبار من ماضيهم.

الهوامش:

1. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، 2005، ص3-4.
2. فاروق عمر فوزي، الإستشراق والتاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998، ص29.
3. نفسه، ص29

4. عباس الجراري، قضايا مرابطية من منظور بعض المستشرقين،"المغرب في الدراسات الإستشراقية"مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مراكش، 1993، ص91.
5. فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص34.
6. عبد العظيم الديب، المستشرقون والتراث، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، دار النشر للجامعات المصرية، ط3، 1992، ص11
7. يحيى مراد، ردود على شبهات المستشرقين، دت، ص42.
8. فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص33-34 .
9. نفسه، ص34.
10. الوجيز في قصة الحضارة- الحضارة الإسلامية 569هـ/1258م- أوجزه غازي مختار طليمات، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق-،ط2، 1999، ص96.
11. العرب، تاريخ موجز، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1991، ص146-147.
12. عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1985، ص176.
13. الإسلام والعلم، محاضرة ألقيت في السربون، 1883. نقلا عن: محمد السويسي، أراء بعض المستشرقين حول التراث العلمي العربي مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، 1985، ج2، ص 24.
14. فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص35.
15. نفسه، ص185.
16. أندري سرفيي،الإسلام وسيكولوجية المسلم، باريس، 1992نقلا عن محمد السويسي، المرجع السابق، ص 25،.
17. فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص 186.
18. حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار أحياء التراث العرب، لبنان، ط3، 1979، ص 689.
19. الوجيز في قصة الحضارة، ص 102.

20. دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت،1980، ص150.
21. فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص186.
22. عبد العظيم الديب، المرجع السابق، ص 176.
23. شوقي أبو خليل، غوستاف لوبون في الميزان، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1990، ص150،.
24. حضارة العرب،ص 526.
25. نفسه، ص675.
26. محمد السويسي، المرجع السابق، ص 22.
27. نفسه، ص149.
28. نفسه، ص147.
29. نفسه، ص149.
30. نفسه، ص151.
31. شوقي أبوخليل، موضوعية فيليب حتي في كتاب تاريخ العرب المطول، دار الفكر، دمشق،ط1، 1985، 164.
32. نفسه، ص164.
33. شوقي أبوخليل، موضوعية فيليب حتي، ص170.
34. محمد السويسي، المرجع السابق، ص 25.
35. جواتياين، المرجع السابق، ص 28.، فيليب حتي، العرب تاريخ موجز، ص148. وبالمقابل يشير حتي إلى عظمة علماء العرب في الفقه وأصولاللغة. المرجع السابق، ص115.
36. شوقي أبو خليل، موضوعية فيليب حتي، ص 175.
37. محمد السويسي، المرجع السابق، ص 25.
38. نفسه، الهامش رقم 24، ص 65.
39. ابن خلدون، تاريخ ابن جلدون، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2003، ج1، ص 367.
40. محمد السويسي، المرجع السابق، ص 28-29.

41. نفسه، ص30.
42. العرب، تاريخ موجز، ص 152.
43. شوقي أبو خليل، موضوعية فيليب حتي، ص 11-12.
44. شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص10.
45. نفسه، ص206.
46. نفسه، ص 170.
47. غوستاف لوبون، المرجع السابق، من المقدمة، ص 35.
48. نفسه، ص529-530.
49. يقصد به منيوتنولا ببنتز.
50. غوستاف لوبون، المرجع السابق، ص 731.
51. شوقي أبوخليل، غوستاف لوبون في الميزان، ص150.
52. نفسه، ص 334-35.
53. غوستاف لوبون، سير تطور الأمم، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، تقديم أحمد زكرياء الشلق، القاهرة، 2006، ص84.
54. محمد السويسي، المرجع السابق، ص46-47.
55. حضارة العرب، ص529.
56. المرجع السابق، ص572- 573.
57. الوجيز في قصة الحضارة، ص97.
58. حضارة العرب،ص 682.
59. نفسه، ص592.
60. أراء بعض المستشرقين حول التراث العلمي العربي والرد عليها، ص31.
61. شوقي أبو خليل، غوستاف لوبون في الميزان، ص 155.
62. حضارة العرب، ص391.
63. شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 53.
64. حضارة العرب، ص 145.
65. غوستاف لوبون، سير تطور الأمم، ص 168-169.
66. مقدمة حضارة العرب، ص7.

67. المصدر السابق، ص 312.
68. مقدمة حضارة العرب، ص4-5-6.
69. مقدمة حضارة العرب، ص 7-8.
70. عبد العظيم الديب، المرجع السابق، ص41.
71. دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، ص4.